

مقدمة الترجمة

ليس هناك اليوم من ينكر أهمية الميول الجنسية في حياة الناس جميعاً، وإن اختلفوا في تحديد مقدار هذه الأهمية ومبلغ ما تؤدي إليه تلك الميول في حياة الصغار والكبار من مختلف نواحيها. وليس هناك، على ما نرجو، من ينكر أن تنظيم تلك الميول وتهذيبها من أهم الواجبات التي ينبغى على كل من تتصل حياته أو عمله بالنشء أن يقوم بها.

ونحن في زمن تتغير فيه الأوضاع وتتبدل فيه المثل، وتكثر فيه المؤثرات الخارجية التي تفد علينا من الحضارات والثقافات الأخرى، فيؤدي هذا كله إلى بلبلة في القواعد والأوضاع التي كانت الأجيال السابقة تنشأ عليها والتي كانت حياة الأفراد والجماعات تنتظم وفقاً لها. وقد لا يكون هناك في حياة الناس اليوم من جانب أكثر بلبلة وأشد اضطراباً، نتيجة لذلك كله، من الجانب الجنسي بمعناه العريض الشامل.

ولا يقتصر خطر الميول الجنسية وأهميتها على ما نلمسه في الحياة اليومية من مظاهرها ونتائجها، بل إن ما يخفى من آثارها على صحة الناس البدنية والنفسية لأخطر شأنًا وأبعد غوراً، وإن ما يترتب على هذه الاضطرابات ليتطلب علاجاً يتعسر الحصول عليه، ويطول مداه إن أمكن الحصول عليه. وإذا كان من ناحية يصدق عليها القول بأن الوقاية خير من العلاج فهي هذه الناحية التي تتصل بالحياة الجنسية، وما تنطوي عليه من نواح بدنية ووجدانية، وما يترتب عليها من نتائج عائلية واجتماعية.

وإذا كان هناك من رجل واحد كان له من الشجاعة وثاقب النظر ما أتاح له من الناحية العلمية أن يوقظ الناس من غفوتهم أو تغافلهم عن الجنس وأهميته، فهو العلامة سيجمند فرويد الذي اهتدى إلى أصول التحليل النفسي وبدأ استخدامه في العلاج؛ والذي وفق في تفهم أعماق النفس الإنسانية إلى ما لم يوفق إليه أحد من قبل. ولقد لاقى فرويد في سبيل الإعلان عن رأيه، كما لاقى غيره من المحللين وغير المحللين الذين عملوا على تنوير الناس عن الحياة الجنسية، عنتاً وشدة ومناهضة طال أمرها وتأجج أمرها حيناً، كى تخلف وراءها ضرورياً من الفهم والسلوك في هذه الناحية تصل في كثير من الأحيان إلى حد من الغفلة أو الميوعة التي قد تؤدي إلى ألوان من الأذى أشد خطورة من الجهالة الأولى. ولا يزال كثير ممن يزعمون المعرفة لا يدركون من فرويد إلا أوائل ما كتب عن الجنس، كأنه لم يكتب إلا عنه ولم يكتب عنه إلا أوائل ما كتب؛ بل هم يفهمون ويتحدثون عن ذلك على غير ما أرادهم الرجل أن يفهموا أو يتحدثوا أو يكتبوا.

وكثير من الناس لا يزالون، من جراء هذا، فى حيرة من أمرهم لا يعرفون وجه الصواب عن الجنس أو كيفية التصرف بأزاء ما يصدر عنه فى سلوك أبنائهم أو من يشرفون عليهم من نشء. ومن هنا اشتدت الحاجة إلى مثل هذا الكتاب، لافى اللغة العربية وحدها بل فى اللغات الأخرى.

غير أن هذا ليس كتاباً مباشراً فى التحليل النفسى - نظرياته أو العلاج به، بل هو كتاب استوحى من علوم الحياة والتربية والتحليل النفسى خير أصولها والتمس أحسن الوجوه لتطبيقها والإفادة منها. والواقع أن أول معرفة لكاتب هذه الكلمة بهذا الكتاب، كانت حين دعى أيام كان فى لندن، للتحديث إلى شباب أحد الأندية عن مشاكلهم الخاصة بصفته من المشتغلين بعلوم النفس والتحليل النفسى. وذهب يلتمس الرأى عند «أنا فرويد» وهى من هى فى الطليعة من المشتغلين بالتحليل النفسى وتطبيقه فى ميادين التربية. فأشارت عليه بهذا الكتاب الذى لم يكده يظهر حتى تلقفته الأيدى ونفدت منه الطبعة بعد الطبعة. ولقد كان حكمها والحق صائباً سديداً. ذلك لأنه على كثرة ما كتب عن هذه الناحية فلعل كتاباً لم يصل فى علاجها إلى مثل ما وصل إليه هذا الكتاب من نجاح ورسانة ومن توفيق وسداد فيما يقدمه من حديث إلى الآباء والأطباء والمعلمين ورجال الخدمة الاجتماعية من رأى ناضج مفيد.

ولا عجب فى ذلك فالؤلف «سيرل بيبي» رجل تمرس بالعلم والخبرة فى ميدان البحث والتعليم أمداً طويلاً. تخصص فى علوم الأحياء وتوفر على دراسة علوم النفس والتربية، كما يدل كتابه على حسن فهمه وإفادته من كتب التحليل النفسى. ثم اشتغل خبيراً فى التربية للمجلس المركزى للتربية الصحية فى إنجلترا. وتطلب منه عمله أن يلقى وأن ينظم آلاف من المحاضرات والدراسات عن المشاكل الجنسية فى كافة نواحي تلك البلاد. حتى انتهى به الأمر أخيراً إلى الانضمام إلى هيئة التدريس بمعهد التربية بجامعة لندن.

وإذا كانت الحاجة الملحة الشديدة هى التى هدتنا إلى هذا الكتاب، كما هدت إلى تأليفه من قبل، فإن مثلها هو ما دفع إلى ترجمته. فقد تبين للأستاذين اللذين قاما بترجمته، وهما ممن يشرفون على إعداد المعلمين بجامعة إبراهيم، أن الناحية الجنسية وواجب المربى نحوها من الموضوعات التى تشغل شباب المعلمين وتجههم منهم حلاً، وأنها من الأمور التى لا مهرب منها رغم ما يتردد حولها من نقاش وما يلزم فيها من الاستنارة والإيضاح. ومن هنا كان ترحيبهما بهذا الكتاب وكان أن أقدمنا على ترجمته رغم ما استلزمه ذلك من شدة الجهد وكثرة التوفر، حتى خرج الكتاب، وقد بقيت له طلاوته وسلاسته، دقيقاً أميناً إلا ما استلزمه الأمر من تغيير عبارة هنا أو اسم أو مثل هناك.

وليس بهذا الكتاب، فى جملة، ما يمكن أن يفجأ أحداً من الذين يتصلون بالنشء - أولئك الذين يستطيعون أن يفتحوا أعينهم وآذانهم؛ أو أن يفجأ واحداً يستطيع أن يواجه نفسه

ويعترف، ولو بينه وبين نفسه، أن المسائل التي يعرض لها المؤلف ليست من نسيج خياله إنما هي من صميم الحياة ومشاكلها الواقعية. والآراء التي يقول بها صاحبه، فى جملتها، ليست بالآراء المتطرفة أو المستحدثة على جراءة ما يقول به أحياناً وشدة طرافته وجدة ما يدعو إليه.

ولقد يقال إن ما يدعو إليه المؤلف إنما ينفع فى بيئة وحضارة غير البيئـة أو الحضارة التى نعيش فيها. غير أن الواقع هو أن لب ما يدعو إليه - بصرف النظر عن تفاصيله - يتفق وطبيعة الإنسان، على قدر ما نعرفها اليوم، فى أى صقع أو أية بيئة. بل الواقع أن كثيراً جداً من الآراء أو الإرشادات التى يقول بها ليست جديدة على الشرق، بل إنها قد عرفت هنا قبل أن تعرف هناك. ولولا الظروف التى أصدر فيها هذا الكتاب، وضيق الوقت وقصور الجهد، لأوضحنا هذا الذى نذهب إليه بما يؤيده من الأسانيد التى يتيسر أن تستقى من كتب الشريعة والتربية التى عرفت عندنا قبل أن نعرف الغرب أو نتصل به.

ومهما يكن من أمر فإننا لندرجو أن ينفـع هذا الكتاب وأن يفيد، فإن أدى إلى نقاش فإننا لندرجو أن يكون النقاش طليقاً عادلاً بعيداً عن الهوى لا يستهدف إلا خير الناشئين الذين نرجو أن تتيح لهم أيامهم خيراً مما أتاحت لنا.

القاهرة، يناير ١٩٥٢ م

إسحق رمزى

المحلل النفسى بعبادة لندن سابقاً

دكتوراه فى علم النفس من جامعة لندن

عضو الجمعية البريطانية للتحليل النفسى

أستاذ علم النفس المساعد بجامعة إبراهيم